خيارات دول الخليج بعد التواطؤ الأميركي مع إيران

علي الصراف
كاتب عراقي

لا يحسن التسرّع في الحكم على التوجه السعودي نحو فتح صفحة جديدة مع إيران. السعودية قوة إقليمية كبيرة وتترتب عليها مسؤوليات. كما أنها قوة كبيرة مع نفسها أيضا. وهي لم تألف أن تجد نفسها من دون حليف دولي موثوق.

الدخول في مواجهة مبكرة مع إيران، من دون سند دولي حقيقي، سوف لا يعني إلا كارثة عسكرية واقتصادية كبرى. لقد كان يفترض بهذه المواجهة أن تتم بالشراكة مع الولايات المتحدة. لأسباب محض تقنية على الأقل. حرب من دون أقمار اصطناعية، على سبيل المثال، لم تعد تجدي نفعا. ولكن الولايات المتحدة اختارت أن تكسب نصف الهزيمة مع إيران لكي تخرج من المنطقة بعقود من هنا وعقود من هناك. وبالنسبة إلى واشنطن، فذلك هو النصف الآخر.

أثبتت السنوات الخمس الماضية، منذ اندلاع الحرب في اليمن، أن السعودية مكشوفة دفاعيا. الصواريخ التي ترسلها إيران لجماعة الحوثي أثبتت ذلك. والهجوم على منشآت أرامكو زاد عليه. وصمت السعودية على هذا الهجوم بالذات أثبت أن الانكشاف أكثر من مجرد انكشاف أمني.

ماذا تملك السعودية في مواجهة إيران من دون الولايات المتحدة؟

لقد وضعت إدارة الرئيس جو بايدن الشراكة الاستراتيجية مع السعودية على الرف. بايدن، المدفوع بكراهيته الشخصية لسلفه، جعل من الانقلاب على سياسات دونالد ترامب معياره الأساس، إن لم يكن الوحيد، لكل سياساته الخارجية. والموقف العدائي تجاه السعودية كان جزءا من فوضوية هذا الانقلاب.

ولكن الولايات المتحدة حتى في عهد ترامب لم تكن ترغب بخوض حرب ضد إيران. لقد كانت تملك القوة لإسقاط نظام الولي الفقيه، إلا أنها لم تملك الرغبة.

النظر في التكاليف الاقتصادية لحرب قد تطول، كان واحدا من أكبر الموانع. وعلى هذا الأساس، بقيت العقوبات هي السلاح الوحيد.

ما حصل هو أن أعمال النهب المنظم لموارد العراق تحت أنف الولايات المتحدة أبطل الكثير من فاعلية تلك العقوبات. وظلت إيران هي من يمارس لعبة التهديد بالحرب. ويستطيع المرء الآن أن يقول إن إيران هي التي كسبت لعبة الابتزاز في النهاية.

إدارة الرئيس بايدن وضعت الشراكة الاستراتيجية مع السعودية على الرف، وجعل بايدن المدفوع بكراهيته الشخصية لسلفه من الانقلاب على سياسات ترامب معياره الأساس إن لم يكن الوحيد لكل سياساته الخارجية

قصة التصعيد في تخصيب اليورانيوم، وفتح ملف العودة إلى الاتفاق النووي، لم تكن إلا ذريعة من ذرائع التغطية على ما هو أهم. كلا الطرفين كانا يعرفان أنها مجرد لعبة خارج الملعب الحقيقي. لا إيران كانت تستفيد من إنتاج قنبلة نووية، ولا الأميركيون كانوا يخافون منها فعلا. وبرغم كل المبالغات، فإن كلا الطرفين كانا يعرفان أنهما يتعاملان مع تهديد تافه، من أجل إيجاد المبرر لتسوية مع إيران تضمن للولايات المتحدة مصالحها، كما تضمن للولي الفقيه مصالحه.

مصالح الولايات المتحدة هي المال. ومصالح الولي الفقيه هي الهيمنة لإنتاج دول فاشلة جديدة في المنطقة يمكن نهب مواردها. ومثلما كان ذلك هو ما تحقق في العراق، من دون أن تتضرر مصالح الولايات المتحدة، فالسؤال المطروح في واشنطن هو: "ما الذي يمنع أن يتكرر الشيء نفسه في السعودية مثلا؟ وماذا تشكل السعودية، أو أي دولة من دول الخليج، بالنسبة إلينا؟" الجواب كان "لا شيء. هؤلاء الناس لديهم خزائن مال هائلة ويمكن استنزافها، لا أكثر ولا أقل".

لقد حدث وأن عرفت منطقة الخليج سؤالا مماثلا من قبل: "وماذا تشكل الكويت بالنسبة إلينا؟"، وباقي القصة معروف! فبينما كانت الكويت توشك على شراء 10 في المئة من أسهم بريتيش بتروليوم، وتمتلك احتياطات مالية تزيد على 200 مليار دولار، في أحد أكبر وأول "الصناديق السيادية" في ذلك الوقت، انتهت من بعد "تحريرها" إلى بلد شبه مفلس. إذ تم "تحريرها" تماما، على مرأى العين. وكان من أبرز الشواهد المضحكة على ذلك، أن الطائرات البريطانية قصفت محطة توليد الطاقة الكهربائية الرئيسية في الكويت بعد انسحاب القوات العراقية. فلما اتصل أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد برئيس الوزراء البريطاني جون ميجور ليسأله "لماذا فعلتم ذلك"، قال له "لا تقلق، سنعيد بناءها من جديد". قال ذلك وعينه على آخر ما بقي في حسابات الكويت لدى باركليز بانك.

هل فهمت الآن، لماذا تنسحب الولايات المتحدة من العراق لتفسح المجال أمام إيران؟ هل فهمت لماذا قررت سحب بطاريات باتريوت من السعودية؟ أو لماذا اتخذت موقفا مهادنا مع الحوثي، رغم كل ما تشكله صواريخ إيران ضد المملكة من تهديدات؟ ولكن، أهم من هذا، هل فهمت لماذا يتم تغطية ذلك بالتهويل من فيلم الرعب النووي؟

لقد كان يمكن لسياسة الضغوط القصوى على إيران أن تتواصل. بل لقد كان يمكن لهذه السياسة أن تشتد من دون الحاجة إلى التورط في حرب واسعة النطاق. ولقد كان يكفي الرد على أي عدوان بمثله، وأن يكون الأمر واضحا لإيران على هذا الأساس. كما كان يمكن وضع ضوابط صارمة تحول دون الانزلاق إلى حرب شاملة، سواء داخل مجلس الأمن الدولي أو بقواعد يتم تحديدها خارجه. ومنها فرض عقوبات تملي على إيران أن تدفع تعويضات عن كل جريمة تُرتكب بصواريخها ضد الضفة الأخرى من الخليج. بل ولقد كان يمكن طرد إيران من العراق أيضا.

العراق عندما اندلعت الانتفاضة الشعبية فيه كان على وشك الإفلاس. بما يعني أنه لم يعد ضرعا حلوبا لأعمال النهب والفساد الإيرانية. وهذا كان يكفي لكي يضع الميليشيات الإيرانية في مواجهة شعب غاضب. كما كان يمكن منع مؤسسات التمويل الدولية من توفير المزيد من القروض لحكومة الميليشيات، بينما الكل يعرف أن الأموال سوف تذهب في النهاية إلى إيران. ولكن الولايات المتحدة اختارت، حتى في عهد الرئيس ترامب، أن تواصل التواطؤ مع إيران. وها هي ميليشياتها تستعد لتكسب الانتخابات المزمعة في أكتوبر المقبل لتقيم حكومة تمتلك شرعية القتل والترويع والفساد. ومن ثم ليصبح العراق محافظة إيرانية بالكامل، من دون قوات أميركية، ولكن من دون أن تتضرر المصالح التجارية الأميركية أيضا.

لقد وضعت الولايات المتحدة نهاية لعلاقة الشراكة الاستراتيجية مع السعودية. ولقد أثبت الرهان على هذه الشراكة أنه رهان فاشل، بينما تكتشف السعودية الآن أنها ليست في وضع يمكنها أن تنخرط في نزاع متفجّر مع إيران.

ماذا يُبقي هذا الوضع للسعودية ودول الخليج الأخرى من خيارات؟

الجواب الأول، هو التحرر من تلك الشراكة السخيفة، التي ثبت أنها غير جديرة بالاحترام على الإطلاق. وكانت مجرد شراكة منافع انتهازية صغيرة للغاية، لا ترقى إلى مستوى الشراكة الاستراتيجية بالفعل.

الجواب الثاني، هو أن تبني دول مجلس التعاون الخليجي قوة عسكرية مستقلة، قادرة على أن تشكل توازنا عسكريا مثيرا للرعب بالنسبة إلى إيران. ومن بين أبرز الخيارات وأيسرها، بناء قوة صاروخية شديدة الضخامة إلى الحد الذي يكفل القول لإيران إن أي عدوان سيكون يوم زلزال عظيم بالنسبة إلى إيران.

الجواب الثالث، هو اللعب في كل ملعب تمارس فيه إيران دورا، بما في ذلك إيران نفسها. ذلك أن الذي يحاربك برعاع، يفترض أن يفتح لك الطريق نفسه.

كما أن هناك ثلاثة أجوبة تأتي من الاتجاه الآخر: الخذلان والذل والإذعان.

الانتخابات العراقية.. موسم الخداع الأخير

د. ماجد السامرائي
كاتب عراقي

في كل دورة انتخابية يدفع العراقيون ضريبة من دم شبابهم لصالح التنافس المحموم بين قوى الفساد والقتل التي تسعى إلى تجديد هيمنتها على السلطة. وأصبحت ثورة أكتوبر 2019 محاولة ثورية جريئة لتعطيل هذه الماكينة المزيفة للانتخابات حين طالبت بانتخابات مُبكرة، تكلف بالإشراف عليها حكومة مؤقتة ورئيس وزراء مستقل عن هيمنة الأحزاب لتكون قاعدة انطلاق للتغيير السياسي.

واقعيا ما حصل منذ أبريل 2020 حيث تولى مصطفى الكاظمي رئاسة الوزراء وفق هذا الاستحقاق كان خدعة سياسية أتقنت تنفيذها الأحزاب باستشارة أولياء أمورها، وذلك بإيهام الرأي العام العراقي بالاستجابة إلى تلك المطالب عبر الانتخابات المبكرة وترتيب آلياتها في قانون الانتخابات الجديد وتشكيل مفوضية جديدة.

الانتخابات لم تعد مُبكرة، حيث تفصلها ستة شهور عن الموعد الدوري إن حصلت في أكتوبر المقبل، وسط ترجيحات بأن يتم تأجيلها وفق حسابات الربح والخسارة لمواقع النفوذ بين القوى الشيعية الكبيرة. وقانون الانتخاب لم يلب واقعيا مطالب الثوار حتى وإن اعتمد على الانتخاب الفردي والوحدات المتعددة، وأعضاء مفوضية الانتخابات حتى وإن كانوا من بين القضاة لكنهم موظفون لدى الأحزاب يأتمرون بتعليماتها.

الانتخابات مفردة من المقدسات التي سادت في ساحة العمل السياسي في عراق ما بعد 2003، الذي أصبح أقرب إلى نشاط المافيا منه إلى الأحزاب السياسية. فقد كثرت المقدسات الخرافية حتى كأنها تستحضر تقديس عرب الجاهلية لأصنامهم فيأكلونها حين تجوع بطونهم.

الجيل العراقي الشاب الجديد، ما بين عمر العشرين إلى الثلاثين عاما، حين دخل الاحتلال الأميركي للعراق كانوا رُضّعا أو صبيانا، يقينا إنهم يكتشفون اليوم زيف لعبة التقديس في مفردات كثيرة ابتداء من لعبة الاستفتاء على وثيقة الدستور في 15 أكتوبر 2005، التي مُررت رغم مقاطعة أكثر من خمس محافظات عراقية، وأصبحت الانتخابات مرجعية النظام السياسي وأزلامه، لا يجرأ أحد على التحرش بوجودها رغم ما أفرزته من شخصيات هزيلة تفننت على دروب المخادعة والتزوير والكذب والسرقة.

وضعت مختلف التدابير من قبل الكهنة الكبار في واشنطن وطهران لضمان عدم التحرش بأركان هذا المعبد الخرافي الدخيل على عالم الديمقراطيات، مسموح مناقشة جزئيات اللوحات على جدرانه، ألوانها، حركاتها، دون التقرّب من أساسيات هذا المعبد الجاهلي. المتحرّشون الثوريون هم زنادقة جوكرية، عملاء سفارات يستحقون القتل أو التغييب، وحرق قيَمهم الحافلة بالنقاء وحب العراق.

أيام صعبة امتدت لأكثر من خمسة عشر عاما للصراع العميق ما بين معسكري شعب كبير لديه عمق تاريخي وبين مجاميع دخيلة غريبة على السياسة تحصّنت بالسلاح والمال والكذب والدجل للتسلط، قوتها مستمدة من الخارج الطامع.

الأثمان التي يدفعها هذا الشعب الصامد الصابر من الدماء والمال والأرض والممتلكات كانت ولا تزال غالية، لكن المحصلة تبلورت بميلاد ثورة شبابية في أكتوبر 2019 هدّمت أركان المعبد المُزيّف، وتبدّلت موازين القوة بين المتصارعين خارج أركانه وعلى ساحة مكشوفة، صدأت أسلحة معسكر الجهل والتخلف وعصابات المافيا خصوم المستقبل فيما دخلت أسلحة الشعب الجديدة الميدان.

تكسرّت أسلحة حماية المذهب والمظلومية التي اكتسحوا بها انتخابات 2006 و2010 حين تخفوا وراء صور مرجعهم في النجف، السيستاني، لخداع أبناء الشيعة في محافظات الوسط والجنوب. ثم احترقت شعارات الدعوة للقضاء على أبناء يزيد التي بعثت واستكملت خرافة بوش في القضاء على يأجوج ومأجوج عندما اكتسح جنوده العراق عام 2003. فتم استحداث أسلحة من طين عناوينها حواضن داعش، لكنها انهارت لأن الأيادي الماسكة فيها مرتعشة والعقول التي تديرها مليئة بالحقد والكراهية والتخلف.

الأثمان التي يدفعها الشعب العراقي الصامد الصابر من الدماء والمال والأرض والممتلكات كانت ولا تزال غالية، إلا أن المحصلة تبلورت بميلاد ثورة شبابية في أكتوبر 2019 هدّمت أركان المعبد المزيّف

المفاجأة الأكبر التي نزعت كلّ الأسلحة المتكسرّة من معسكر خصوم الشعب ونزعت عنهم كل أقنعتهم الورقية وتركتهم بلا أرض يقفون عليها، مع اعتذارنا عن التقسيم الطائفي الذي لا نؤمن به، هي أن معسكر الشعب الثائر هو من داخل الساحة "الشيعية" ليس من صلاح الدين أو الأنبار أو الموصل أو ديالى أو كركوك، إنه من كربلاء والجزء الشيعي من بغداد والناصرية والجزء الشيعي من البصرة.

ضاقت دوائر المخادعة، لم تعد هناك حيلة إلا استخدام الأوراق المكشوفة في آخر شوط من المنازلة، ورفع المأجورون في الشوارع صور القائد والموجه علي خامنئي بدلا عن السيستاني.

كان من الطبيعي أن يتم تمزيقها من قبل الثوار وأن تحاصر وتُحرق أسوار القنصلية الإيرانية في كربلاء والبصرة.

تدخل أدوات القتل التابعة للميليشيات الولائية بشكل مكشوف، تعلن عن جاهزيتها للمواجهة مع معسكر الشعب، وتطلق شعارات التخويف والرعب بتنفيذ قوائمها المُعدة في قتل رموز الثورة في كربلاء والبصرة والناصرية وبغداد، وسط عجز الكاظمي عن مواجهتها بجدّية.

على المشهد السياسي يتم اضطرارا الكشف عن أطراف كانت مخفية في الصراع إلى جانب القوى الشيعية الفاسدة والموالية لطهران، تتمثل بتخندق بعض الزعامات السنية المرتزقة في معسكر إيران داخل العراق، وهذا مكسب جديد للشعب، عَرَضي لكنه مهمّ في تأكيد طبيعة الصراع ما بين قوى التغيير الوطني والخصوم الغرباء والمرتزقة. وفضح لعبة توازنات المحاصصة الطائفية التي وصلت إلى مأزقها الأخير.

تريد القوى المهزومة والمنهارة التعلق بقشة في عواصف البحر الهائج باستغلال ورقة المقدس الخرافي، الانتخابات، لتنقذ نفسها من هول النهاية الدراماتيكية وتسحب معها جميع المرتزقة والمستفيدين من هذه اللعبة وتغرق الساحة بتفصيلاتها ما بين التأجيل أو الإلغاء، تعتقد أنها تُحرف من خلالها مسار المعركة بينها وبين الشعب الثائر إلى حافات قد تكون ذات مظاهر وصدامات خطيرة، مع أن معسكر المقاطعة يزداد شعبيا وسياسيا.

تحاول بعض الزعامات الشيعية إشغال الوسط الشعبي العام بتوجيه رسائل تأبين مُبكرة لمصير تلك الزعامات وانتخاباتها وإطلاق أوهام لم تعد خافية بأن هناك حدودا رقمية لإعلان إسقاط الانتخابات المقبلة إن لم تصل إلى نسبة 40 في المئة وكأن هناك رقابة نزيهة عالية المستوى لمعرفة أعداد المصوتين في صناديق الاقتراع علما وأن انتخابات 2018 لم تصل نسبة المصوتين فيها 20 في المئة.

الانتقال السلمي للسلطة خديعة قادها حزب الدعوة بحصره السلطة بيده طيلة 12 عاما، ورغم فشله التاريخي يعاود الحلم بتمديد زمن هذا الفشل.

قد يشترك الكثيرون في الحرص على بقاء خرافة الانتخابات واستمرارها تحت ذريعة أن لا بديل عنها لبقاء النظام والعملية السياسية، مع النتائج الكارثية التي خلفها هذا النظام على شعب العراق.

ثورة الشباب لم تدع إلى عمل صدامي عسكري بل إلى خطوات متواصلة من خارج الانتخابات طرقها السياسية السلمية واضحة ومعروفة بانتزاع ثوري للشرعية المزعومة.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk